بهرا

العدد ٥٦١ - الاحد ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٠م - ٦٧٦٠ آ

Bahra No. 561 Sun. 21 Nov. 2010

أبيات

صباح القس

Sabah_alkass@yahoo.com

الحسين بن مطير يغازل سلمى

أحبك ياسلمى على غير ريبة
ولا بأس في حُبّ تعفّ سرائره
ويا عاذلي لولا نفاسةُ حبها
عليك لما باليت أنك خابرُه
بنفسيَ من لابدّ اني هاجره
ومن انا في الميسور والعسر ذاكره
احبكِ حبا لن اعنّفَ بعده
محباً ولكني اذا لِيمَ عاذره
لقد مات قبلي اول الحب فانقضى
ولو متُّ اضحى الحب قد مات اخره

قائل ابيات الغزل الجميل هذه الشاعر العباسي الحسين بن مطير.

وبالرغم من اني عرّفت به بانه شاعر عباسي وذلك لان دارسي الادب ومؤرخيه معتمدين المراجع الادبية قد درسوا هذا الشاعر ضمن الفترة العباسية لكن الحقيقة انه شاعر مخضرم عاش في عهد بني امية ومدحهم والمؤرخون لم يذكروه ضمن شعراء الدولة الاموية لانه لم يصل اليهم شيء من شعره عن تلك الفترة والسبب معروف فاما ان الشاعر نسي او تناسى شعر تلك الفترة فاخفاه وغيبه او انه انشغل بالعصر الجديد وخشي من بطش خلفائه اذا كان مدحه لبني امية افضل من مدحهم كما حصل من غيرة المهدي لمدح الشاعر معنَ بن زائدة عندما كان واليا على اليمن.

والحقيقة ان شهرة هذا الشاعر جاءت في العصر العباسي وخاصة عندما اتصل بالمهدي ومدحه.

ولهذا عُدّ الحسين بن مطير من الشعراء المداحين ولكن هذا لايعني انصرافه الى المدح دون ان يطرق ابواب الشعر الاخرى فلهذا الشاعر قصائد في الوصف والحكمة والغزل والرثاء وفيها من التجديد والجمال والابداع مالا يمكن تجاوزه.

ومما تذكره كتب الادب في باب الابتكار ان جماعة كانوا في مجلس الاصمعي فأنشد رجل للشاعر دعبل الخزاعي قوله

لاتعجبي ياسلمُ من رجل
ضحك المشيب براسه فبكى

فقال الاصمعي: هذا الشعر مأخوذ من قول الحسين بن مطير

كل يوم باقحوان جديد
تضحكُ الارض من بكاء السماء

والدليل واضح ان دعبل قد اغار على بيت الحسين بن مطير فامتص المعنى ووضعه في قالب لغوي جميل شدّ اليه انتباه السامعين والنقاد وعدّوه امتيازا لدعبل وغمطوا حق صاحب الفكرة الاساسي ويظهر في بيت الحسين حسن الصنعة والابداع مع استعارة رائعة ومقدرة بديعة في المقابلة بين الضحك والبكاء والارض والسماء.

وما يلفت نظرنا في غزله المتقدم اظهاره العفة والطهارة في زمن كان لابي نواس وبشار بن برد وانصارهم صولات في قصائدهم الماجنة.

وهو في غزله لاينسى ما يستوجبه الغزل من رقة الكلام وصدق العاطفة مع الاهتمام بالمعاني الشريفة الجديدة بما يناسب الحياة المدنية التي تفتحت افاقها في هذا العصر، وهذا العصر وتجدد الحياة فرضا عليه السير في طريق التجديد، لكنه لم ينس بداوته فقد عاودها في قصيدة يقول فيها

كأننا ياسليمي لم نُلِمّ بكم
وتحتنا علسيّات ملاجيجُ

ويستطيع اي متذوق للادب ان يجد الاختلاف واضحا في الابيات المتقدمة وهذا البيت وما فيه من غرابة تناسب طبع الشاعر البدوي.

ويبدو ان قلبه متعلق بسلمى لكثرة ترديده لاسمها وهو يؤكد في البيت الاول على عدم الشك والريبة في هذا الحب مع تاكيده على عفة ونقاء هذا الحب.

ولابدّ كعادة الشعراء والمحبين من وجود عاذل يحاول ان يثير غبارا يعكر جو الاحباء لكن الشاعر يعرف نواياه هذا العاذل اذ لولا نفاسة وسمو هذا الحب لما بادر هذا العاذل لاثارة الفتن والمشاكل بين الحبيبين.

والشاعر ثابت في حبه بالرغم من العاذل وهو متواصل مع من اختارها قلبه في حالتي اليسر والعسر. وهو لكل ما تقدم يؤكد هذا الحب بحيث انه جعل من هذا الحب مثالا حتى انه اتخذ قرارا مع نفسه بأنه لايعنف اي محب فيما يقاسيه ويعانيه وكأني به يتمثل قول الشاعر

لايعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

وقد نجد في ثنايا قصائد الغزل ابياتا من الحكمة تفرضها طبيعة الموضوع الذي يعالجه وقد فعلها ببيته الاخير ذي التوجه الحكمي لانه شعر ان الحب قد مات وهو في اول المشوار فاذا مات هو اي الشاعر فمعنى هذا ان الحب قد انتهى فلم يعد هناك قلب يحن ولانفس تئن ولا جسد يذوب ولا قلب يلوب.

نعم...
رحل جورج هومي

فهد إسحق

نعم... رحل جورج هومي وترك خلفه أوراقاً مبعثرة.. رسائل لم تقرأ بعد، ونوتة موسيقية لم تكتمل، فكيف هان عليه الرحيل..!؟

هناك وقبل الغروب، على ضفاف نهر حضن عطاءه بشرف و من أمام شرفات "ولطو"..مرّ بعربته النارية و ألقى تحيته الأخيرة على آثار حقول قمح وبساتين فاكهة وكروم عنب....!

هناك بعد أن تمرّغ الحزن في عمق الكبرياء و كسر الموت فجأة أجنحته البشرية...أبحر بروحه عبر محيطات المصير إلى حدائق الله ..!

قِصّةٌ قَصِيرَةٌ جِداً
الى مَنْ يَعنيهِ الأمر.... حَتماً

موشي بولص موشي

عَلى مَلاكِ الجَنّةِ الدّائِم !

منْ أجْلِ عَرقَلَةِ أمرِ تَعْيينِهِم وَبَثُّ رُوحِ الأحْبَاطِ وَالتّمَلمُلِ فِيهِم تَلَكّؤ ذِهنُهُم عَنْ صِيَاغَةِ استِمَارَةٍ تَحوِيَ عَشَرَاتَ الحُقُولِ وكلّ حَقلٍ تَتشَعّبُ منهُ عَشَرَاتِ الفُرُوعِ وَأغْرَبُ مَا فِيهَا هُوَ حَقْلُ "الجُنُودِ" الّذِي يَطُولُ الجَدُّ الثّامِنَ عَشَرَ!.أتَسَاءلُ انْ كَانَ القَيّمُونَ عَلَيهَا أصلا مُوَاطِنِينَ أصلاءَ حَقّاً؟.

طبعا للوقت رائحة ايضا

يونادم بنيامين

عصراً يتلوَّ لنا
في قاموسِهِ الوردي
يتعطّر قليلاً
بالاصفر والقرمزي
يصافح –لوثر ايشو– ولوحة الخشخاش لغوغول
ويشرب الغيمة حلالا
مع سامي لالو والطاغور
طبعا للوقت رائحة ايضا
مثل السفرجل والوركاء
مثل القيثارة وعلم الطباشير
ورائحة جيب الفراش
المليء برؤوس قوالب ملونة
يذهب بها ظهراً
لابنة ولده الوحيد
كي تقرأ بدلا منه
'سوالف' الدهر
وانما جيب مهامتا غاندي
وطاغور ورشدي العامل ومحمد شمسي
طبعا للوقت رائحة
المتحف والدروبي
وازقة الحيدر خانة
ونار المناقل الفحمية
في 'سيلك'
وايام التسريح
وايام عين ترمة والساقية علم ١٩٧٧
وشقلاوة
طبعا للوقت رائحة
مثل عصاري بندوايا وقريتي مكنان شرق الشرقية
ودواوين سركون بولص ومقالب جان دمو وحسن النواب
ونغمات –سركون كبرئيل– ومذكرات –جورج عازار–
وحليب الاغنام وقريته ديره بون
وناي الراعي
وابتسامات 'جنان ساوا'
وطنبورة 'يوسف داود'
وابنة 'ج' ديفيد
كي تصحو كل بلابل شيكاغو
والموصل –وكرادة مريم وقريته الشمالية كرنجو
واخر كاسيت لوالدها، عندي في منزل بعيد في الدورة
طبعا للوقت رائحة ومنقلة
وبسمة
وقلم جاف وحبر وباندان
وقرطاس وورق بردي وجلد غزال
طبعا
طبعا
طبعا

قدري

منال ابونا

عيناي تدمعان من فراق مؤلم
يداي ارتجفتا لحظة الوداع
قدماي لاتعرفان خطاهما
قد فقدت احلامي
لمن اشكو المي
من يكفكف دموعي
لا ادري...
كل شيء مفقود...
لاادري هل هو قدري
ان أعيش بين الوديان
كيف امارس طقوسي وانا وحيدة
من يشد ازري اذا خانتني الايام
هل كتب عليّ الشقاء بكل مفرداته
بؤس. وحرمان. وبكاء. وعويل
هل انا من صخر جلمود. ام حجر صوان
انا مجرد انسان. من دم ولحم
انسان يبكي.. ويضحك.. ويحب.. ويكره
ماذا اقول لنفسي اليائسة..
اقول استمري.. استمدي قوتكِ
استلهمي قواك
فالزمن ليس كفيلا بك
انهضي ايتها الروح وتضرعي الى ربكِ
فهو من ينتشلك من الضياع..

كي لانتوهم بالثقافة

لونا يوآرش هيدو

من الحقائق المهمة اننا لا نعرف تطورات والاهتزازات فضلاً عن الثورات الثقافية ،ومعنى هذا اننا لا نملك ثقافة تتمتع بخصائص التطور للحياة، ولكن الذي ينبغي التوجه اليه هو الانتظار من الثقافة ان تغير ما حولها قبل ان تصحو هي من اوهامها في مصدرها الذي لاتمثله الحضارة، وفي طبيعتها التي لاتلتزم بالواقع وفي غايتها التي لاتقدم خدمة للانسان كما تفعل الفلسفة والعلم...

والامه التي تعيش في تخلف عام جامع يصعب ان تستثني "ثقافتها" منه بل لعل الثقافة حينئذ ان يعمها التخلف ويخصها لانها الخلاصة الفكرية والنفسية لتلك الامه المتخلف عقلها، وابرز صور تخلف الثقافة هو الاتكون ترجمة للواقع ولا الواقع ترجمه لها و انفصالها هذا هو جوهر الوهم فيها... وانما لا نستثني الثقافة من حكم التخلف فيها وسلطانه عليها لانها اولى ادلة وجوده وارجح البراهين عله اذ توصف الشعوب بالتأخر والتقدم و تصنف الى متدنيه او راقيه اعتماداً على حال الانسان "العاقل" فيها مع هذه الاوصاف التي لايسهل الصاقها به جزافا. ولا يسهل عليه انكارها ادعاء، لانها انتاج فعل القرون في العقول والنفوس والسلوك فتجيء على وفق عوامل التكوين فلو افترضنا متأخراً رقيا مرعيا لوجه من وجه حياته الاجتماعية لوقعنا في المحظور ، اما بالمغالطة لعلمنا ان العنصر المتخلف الذي هو العقل قائم في صلب الفرع الذي نسبنا اليه الرقي وسيخضعه الى طبيعته كما اخضع اليها الغنى الاقتصادي الذي تجوز به كنوز الارض دون حول الانسان ولا حياته فيبددها بيد، ويمد للشحاذه والاستجداء بأخرى..

واما بالوقوع في تناقض لان العقل المتخلف لايمكن ان ينبع في مضمار الحياة الاجتماعية فيحقق فيه النمو الجزئي لا تقره الطبيعة لشبه بذلك النمو الذي ينال عضواً واحداً من جسم كائن من دون سائر الاعضاء فنقول مثلا...

لاحدى رجليه او يديه فوق ما يناسب قوامه كله خلافاً لأعناق الزرافات وخراطيم الفيله، فقد استطاعت على اعضائهن الاخرى خصوصاً لحاجة الطبيعة في الخليقة لا تلبية لقانون التطور والارتقاء الذي يراه الاخرين...

فحين يبطل احتمال التطور الجزئي لمجتمع عامل من التطور العام فأن ثقافته تاخذ حكم الجزء ان اعتبرناها جزءا وحكم الكل ان اعتبرناها كلاً بل السديد في الامران لانتوهم وجود ثقافة في مجتمع كهذا مادامت الثقافة الحق هي احدى عامل لحدود واحدى توابع التطور المطرد لهما المشروط بها وبغيرها.

قراءة في كتاب "عنف اللغة"
لمؤلفه جان جاك لوسركل

د:احمد جواد العتابي
كلية التربية / المستنصرية

يقع الكتاب* في(٤٩٦)صفحة من القطع المتوسط،يضم مقدمتين وستة فصول،وخاتمة ،مع ثبتين،احدهما تعريفي، والاخر بالمصطلحات.

اذ حاول فيها فك اسرار رموز الكتاب ومصطلحاته ولاسيما 'عنف اللغة' و'نظرية المتبقي' التي تبناها المؤلف ،ودافع عنها على امتداد صفحات الكتاب وفصوله. يقول المترجم 'يركز لوسركل على الجانب من اللغة "الذي يدعوه بـ المتبقي، الذي يروغ من قواعد النحو ويتفلت من قوانين الالسنية... وهذا الجانب هو الذي يرتع فيه المبدعون والشعراء والصوفيون والمهووسون ومن شابههم"/٧. وفي المقدمة يحرص المترجم على استعراض تاريخ الالسنية بدءا من بدايات القرن العشرين الى يومنا هذا،ثم يتوقف عند لوسركل،اذ يقول 'والان كيف يعالج لوسركل قضية اللغة ووظيفتها في حياة الانسان، وعلاقتها بالانسان المتكلم وتأثيرها فيه وتأثره فيها"/١٥.

بعد ذلك يعرض لمقدمة الكتاب وفصوله الستة. ففي المقدمة يجري لوسركل تحليلا لغويا لنص رسالة يتألف من كلمات وليست من اللغة ولايفيد منها القارئ معنى، وان كان النص مستوفيا لشكل رسالة.

حرص المؤلف 'لوسركل' على ان يكون التحليل مبنيا على وفق المستويات اللغوية الاربع، الصوت،والصرف، والتركيب، والدلالة، وبسبب نظام سوسير الا ان هذه المستويات اللغوية تفشل في تحليل النص وفك عقده الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. ويرى لوسركل ان سبب هذا الفشل يرجع الى قصور النظام اللغوي الذي جاء به سوسير عن الاحاطة باللغة ككل... اذ ان هناك جانبا اخر للغة لا يخضع للنظام السوسيري وهو ذلك الجانب المظلم المنبعث من النصوص الشعرية والهذيانية ومن اشراقات الصوفيين والمهووسين بالكلمات... وهذا هو الجانب الذي يدعوه بـ 'المتبقي'.

ثم يعرض المترجم للفصل الاول الذي يحمل عنوان'علم الالسنية والمتبقي' اذ يبنى هذا النص على عرض مجموعة من النصوص الانكليزية 'تتراوح بين جملة بلهجة عامية لتدنية الى نص ادبي من رواية كلاسيكية تضم استعمالات خارجة على النحو والقواعد. وفي هذا الفصل يحاور لوسركل كلا من سوسير، وميلز، ودولوز، وغواتاري.

وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان 'جراب الخرق' التي هي امور متفرقة في اللغة، اذ يطيل المؤلف الوقوف مع فرويد في بحثه عن النكات وعما تتضمنه من تلاعب بالكلمات والتوريات. اذ نجد في هذا الفصل مصطلحات جديدة من صنع المؤلف، منها 'الصائغ المجهول'و'البرسنة' المشتقة من اسم عالم اللغة الفرنسي جان بيار بريسيه ، و'الولفسة' المشتقة من اسم لويس ولفسون اليهودي الامريكي.

اما الفصل الثالث الذي يحمل عنوان 'نظرية المتبقي' ، فيعد تقعيدا لهذه النظرية التي نادى بها المؤلف ، اذ يناقش فيها اربع قواعد لعمل المتبقي ، ثم يختم الفصل بمناقشة العلاقة بين 'المتبقي' والمعجم والموسوعة.

ويخصص الفصل الرابع الذي يحمل عنوان 'الاستعارة' لدراستها، ولاسيما علاقتها بالمتبقي، وقد عرض في هذا الفصل الكثير من الطروحات التي تخص الاستعارة التي تقع في القلب من المتبقي.

وفي الفصل الخامس الذي يحمل عنوان 'الفساد' يعرض لوسركل لدراسة اثر الفساد في اللغة وعلاقته بالمتبقي، ثم يعرض لدراسة الاشتقاق، بعد ذلك ينتقل الى دراسة اثر الظرف التاريخي في تطور اللغة.

اما الفصل السادس فيحمل عنوان الكتاب 'عنف اللغة'، اذ يحاول فيه المؤلف ان يجمع الخيوط المتناثرة في البحث واعلان الموقف النهائي، وفي الخاتمة يقرر المؤلف ان اللغة ليست ذلك البناء الهندسي المنتظم الذي يقيمه عالم اللغة، بل هي الحياة بكل تناقضاتها وفوضويتها.

وفي نهاية الكتاب نجد ثبتاً تعريفياً، واخر مصطلحيا، اذ ان لهذين الثبتين فائدة كبيرة يلمسها القارئ، فضلا عن الفهرس الشامل للاعلام والمسميات.

من يقرأ الكتاب يجد ان المؤلف يعرض لمسألة لغوية مهمة لا تخص لغة معينة. انما تشترك فيها جميع اللغات . هذه المسألة اطلق عليها المؤلف تسمية "المتبقي'.

فما المتبقي؟وما علاقته بعنف اللغة!!!

عرض المؤلف لاكثر من تعريف، واشار في اكثر من موضع الى قواعد كثيرة لعمل المتبقي، اذ عده جزءا تكوينيا في اللغة، شأنه شأن نظام اللغة نفسه ، بل هو جزء من النظام.

اذ يقول:

'ان هناك جانبا اخر للغة وهو الجانب الذي يتفلت من عناية عالم الالسنية، لا بسبب فشله او قصوره العارض بل لاسباب اخرى لا فكاك منها، هذا الجانب الاخر المعتم نجده مشتقاً من النصوص الشعرية والهرائية وفي كشوفات الصوفيين، وفي هذيان المهذارين او المرضى العقليين ، ان هدف هذا الكتاب تقديم وصف ونظرية لهذا الجانب الاخر، ولأسباب ستتضح قريبا، دعوت هذا الجانب بـ'المتبقي'"/٤٣.

ان التبقي نجده في خرق قواعد اللغة بشكل عام، وهذا ليس انحرافا كما يرى لوسركل، اذ يقول "ان الخطأ اللغوي ليس انحرافا عن قواعد اللغة... بقدر ما هو توقع أو تنبوء بالمسار التطوري لقواعد اللغة وتراكيبها"، وان هذا الرأي يعد انتقالة كبرى لما نسميه بالشاذ والنادر او ما يسمى بالضرورة الشعرية،اذ يرى "ان قواعد النحو قابلة للخرق، مثل القواعد والبدهيات التداولية".

ولكي يقرب المؤلف مفهوم المتبقي من فهم القارئ، اذ يشبه قواعد النحو بالخريطة التي لا تحوي التفاصيل الدقيقة التي نجدها في الخرائط العسكرية مثلا."ان التفاصيل التي لانجدها في خريطة نحوية هي التي تؤلف ما ادعوه بالمتبقي"/٦٦.

ان جان جاك لوسركل في كتابه 'عنف اللغة' يحاور عددا من علماء اللغة، ولا سيما دي سوسير، وجومسكي، وغرايس، اذ وقف طويلا اما نظام اللغة السوسيري، وابدى ملاحظات جادة ومهمة لم يعرض لها من قبل، فهو يقول "ان نظام اللغة ليس نتاج تعاقد بين مستعمليها...

ليست اللغة قابلة للتغير المفاجئ والشامل، ان نظام اللغة مفروض على مستعمليها وهو يقع خارج متناول ايديهم، وهذا الاستقلال راجع الى الطبيعة الاستنسابية لاشارات اللغة"،

ويقول ايضاً :

'فلاذا لم يكن هناك سبب يدعونا لتغيير نظام اللغة، فليس هناك سبب يدعونا الى الحفاظ عليه كما هو سوى روح المحافظة والتقليد المركوزة فينا". وفي الخاتمة يخلص المؤلف الى انه لا يمكنه 'حتى الادعاء ان مقاربتي للموضوع كانت جديدة كل الجدة...

لقد كانت نقطة الانطلاق في البحث الذي اجريته شعوراً بالانزعاج لدي ليس فقط من محدودية الالسنية التركيبية او البنيوية...

بل ايضا من محدودية علم الشعر البنيوي الذي اتخذ الشكل الذي نادت به حركة الشكلانية الروسية... وما حاولت فعله هو استكشاف عمل اللغة الشعرية...

ن مفهوم المتبقي... يعطينا فرصة مقاربة جديدة، وربما افضل في النظر الى لغة الشاعر...ويتيح لنا المتبقي فرصة لفهم افضل بكيفية عمل 'الخيال الشعري'..

* الكتاب: ترجمة وتقديم دمحمد بدوي، مراجعة د.سعد مصلوح.
ط١/بيروت/٢٠٠٥،المنظمة العربية للترجمة،توزيع:
مركز دراسات الوحدة العربية.

"قراءة مركزة"

التوقع في ضراوة الحياة اللامتوقعة

د. دانيال ممو

الرجاء متى ما يفرض نفسه كحالة يأس متواصل بتأمل مُنتظر، تزخرتصوراته بمماطلات متكررة تمليها كوابح الذات على نفسها، علها تطمئن من مواقف الصراعات الحسية التي ترمي بالإنسان في مهاوي التخمين الدائم من جراء الممارسات الدائرة في محيط التشابك النابع من التفاعل البشري في أي مجتمع من المجتمعات، بحيث تتبلور مفاهيمه على درجات متفاوتة تحتمها اعتبارات اليقظة الفكرية والثقافة الشاملة وأساليب المعايشات اليومية المبنية على أسس ومعايير التفوق الحضاري العام. من يعيش ويتمحور في آتون هذا الصراع بتألق فكري مبني على رؤى الماضي وواقع الحاضر، عادة ما يخوض مرحلة التأقلم الإزدواجي، منطلقا من مآثر الذكريات الأليمة / المفرحة المُعششة في العقل الباطن، مصطدمة ومتنافسة مع حاضر اللاإستقرار.

إن ما دعاني للبدء بهذه التقدمة المقتضبة المشوبة برؤيا قد تكون مدعاة غرابة للقارئ، هو قراءتي لما فاضت به وهاجت قريحة الزميل الفنان السينمائي والشاعر بولص آدم في ديوانه الشعري الحديث الموسوم " ضراوة الحياة اللامتوقعة " بإحتوائه ٣٢ صورة مؤطرة بإسلوب نثري على شاكلة القصة القصيرة والدراما، وشعري على شاكلة قصيدة النثر محصورة جميعها في ١١٦ صفحة من الحجم المتوسط، صادرة عام ٢٠١٠ عن دار ابداعات الحضارة للنشر في القاهرة سبق ونوهت بأن بولص آدم يعيش الماضي ليولد منه ما يتراءى للحاضر، بغية أن يرتقي بما ينبغي تفعيله بمبررات بدائلية إيجابية المنفذ، مدعماً أفكاره وتأملاته وتصوراته بزخرفة اللوحة التشكيلية وما تعنيه من إعتبارات رمزية واضحة المعالم، والتي انتقاها من مخيلة من زامل تجاربه، وشاطره المعاناة شقيقه لوثر ايشو آدم، لتجسد ما يصبو اليه، برفاهية روحه الإستطلاعية على أنغام العود الذي تترنم أصداؤه بإجتذاب الوحش المتربص كرمز مخيف خلف العازف المتمثل بالشاعر وهو يجسد انفعالاته الداخلية المتمثلة بتطلعات الإنسان الواعي لما يختمر في حسباته.

يبدو لنا ومنذ الوهلة الأولى بأن الأرضية التي بنى عليها بولص آدم اهتماماته السينمسرحية بذرت في ذاته بذور تفتح ذهني لمعجم شعري يتمثل بمفردات الصيغ الفنية المستمدة من نصوص المسرح المتعارف عليه حين يُطعم تعابيره بها ومنها على سبيل المثال: ماكبث، ميلر، الملك لير، شايلوك، تاجر البندقية، الموت السينمائي، الصور الفوتوغرافية، السينما التجارية، السليلويد، السيناريو وغيرها... متدرجاً بخلق أبطال للعديد من موضوعاته، منتقيا أياها من سجلات الموروث القومي بتسميات متفاوتة تيمناً بإنتمائه الذي جرفه الدهر ليكون ضحية عالم الهجرة، وفي بقعة أرض لم يحلم بها، معتبراً أصحاب تلك التسميات مثالا للحياة المُثلى، وكأصالة يُقتدى بها على ما تعانيه وتتحمله من صدمات وانتكاسات وأزمات، بإشارته لها في العديد من نصوصه القصصية القصيرة والإقصوصية أو القصيرة جداً والشعرية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، آنويا، دليلا، بهرا، أسخريا، يونادم، يونيا، أوراهم، مندو، أندراوس اوشانا، رمو، هرمز، يوحنا وغيرها...

حين نتصفح مجموعة الضراوة، ومباشرتنا بالرحيل مع صفحاته الأولى، يفاجئنا بولص بتتويجه في الصفحة الخامسة منه عنوان "جرد الأزمنة في نصوص وقصيتي الوحشية "كمدخل لما يتراءى له من مخاضات لا طائل تحتها، بتحويره لعبارة "كل ورقة للنور بقشرها الظلام، تعيش ممزقة" وتكراره لها شبيهة بوضع حالة الطلق، ليعيد الكرة ذاتها بتكرار جملة "جبنة وذهابا على سطح الدار"، "جبنة وذهابا على القسامي بين علم الحياة". ناهيك عن أزمة أزمنته في "لعب مع أزمنتي لعبة جر الحبل" و"أقلب الصور المنهكة في ألبوم أزمنتي"، ليغادر بالتالي بريشة كرامته من أجل حياة جديدة يتوقع فيها مأساة بلا تبرير، كما يشير في نهاية قصيدته النثرية، ليستقبل حلقة جديدة بالصفحة التالية كحلقة ربط معنونة بحرف لاتيني " تاوين ماركت "، حائراً من وجوده، محاكيا نفسه، ليرتضي عن قناعة بما تعلمه في تلك المدينة الغرائبية من فيلسوف فيها بمقولة " تقبل الحياة كما هي .. تماما كما هي!". فينهي نصه بقرار مقتنع حيث يقول: " اكتفيت بذلك القدر من محاكاة نفسي".

ومن قناعته بتلك المحاكاة يطل علينا مباشرة بمخاطبة القارئ بعنوان " سيدتي القارئة، سيدي القارئ " معلناً له عن تجاربه الحياتية المأساوية التي " تغلبت عليها الوقائع المحزنة على الوقائع السارة عدداً " ليخاطب نفسه: " لتكن الحياة جديراً بها يا بولص آدم؟ عليك أن تكون فيها منتجا! ". بهذا التصميم الذي يجعله مثالا إيجابيا لحياته، يعكسه للقارئ قائلا: " غير أنني ألجأ إلى الإبداع طوال حياتي لأكون حاضرا، فأهلا وسهلا بكم قراء لهذا الكتاب... معكم شاهداً ".

كان الأولى بالكاتب بولص أن يدع موضوعه الموجه للقراء أن يتصدر كتابه كمدخل لما يرمي اليه، طالما يتحدث لهم عن فلسفته فيما توصل اليه خلال مسيرته الحياتية. أما إن كان له رأيا آخر مستلهم من نظرته الإخراجية، فهذه مسألة لها أبعادها الخاصة محصورة بفنتازية رؤياه من منطلق نسق فنه التعبيري.

من خلال قراءة استطلاعية عامة لنصوص الكتاب المنتقاة من زخم كتاباته ومتابعة نشره لها في العديد من الصحف والمجلات الورقية والمواقع الألكترونية، تدعنا نركز على ميكانيزمات السرد المباغت من عبارة لأخرى أو فقرة لأخرى، بتطويعه التكثيف اللغوي بتكوينات غريبة المرمى، وضبابية يزيد من كثافتها، بغية تخفيف حدة التوتر وكأنها انبثقت بطريقة لاشعورية مباشرة، ربما غير آبه لها ولما تثيره من قلق لدى القارئ، مترنحا ومتألقا بجناحين رسم عليهما صفتي الألم والحزن بدلالة سجل مفردات التأزم النفسي الذي يعاشره ويخيم عليه من ماض قاس بحيث لا تخلو نصوصه منها بشكل عام، وبتأكيد انفعالي متواصل تشهد عليها الصفات التي تخلق التأزم ويتجلى إتسامها بالواقعية، ومن نماذجها: العذاب، الإغتراب، الظلام، الكراهية، النار، الألم، الحزن، القبر، التابوت، الكابوس، الغضب، السفاح، الدامي، مسمول، الغرق، السجناء، السجن، العنف، إرهاب، إعدام، التهديد، الأحلام.... تساؤلنا هنا، أليست هذه الرموز المعجمية مدعاة إبداع لإنسان كالزميل بولص آدم الذي عاش ظروف حياة مأساوية – قد تكون قاسية – جسدها قبل ذلك على أرض الواقع بأعمال فعلية؟

هذا ما يؤكده الكاتب نفسه – دون توقعه بما يخبئ له المستقبل المجهول – بما قام به وأقدم عليه بأعماله السينمائية، وكما تم ذكره والإشارة اليه في خاتمة الكتاب كتعريف لسيرته " وبولص آدم هو أول سينمائي في الشرق بمعالجته على إغراق صالات العرض بأفلام العنف خلال فترة الحرب....".

وعلى ذكر كلمة الحرب نرى الكاتب يزرع هذه الكلمة بما لا يحصى في كتابه، بدليل هيمنة العبارات المأساوية الآنفة الذكر، المتولدة عن مشاعر الحزن والألم، ذات الصلة المباشرة بما يترتب عن الحرب من مآس وعبث وانتهاكات، وكأنها تلازمه طيلة مسيرة حياته، ويعيش على آثارها ومخلفاتها ومآسيها ونتائجها المحزنة والكارثية، وبما تمليه الحرب من نتائج لا يحمد عقباها، بتناوله معداتها وآلياتها المتجسدة في العديد من استعمالاته المعبرة عن الرصاص، المدافع، الطائرات، الدبابات، القناة، الموت، القنابل، المسلح، الإطلاقات، الديناميت، الأسلحة وغيرها. هذا ما دعاه أن لا تخلو نصوصه من مفردة "الحرب" بالذات، حيث أتى على ذكرها وتشبث بها كرمز اسطوري في أغلب ما احتواه نتاجه الفكري بإحساس عميق في مؤلفه المذكور، بحيث أشار اليها في نص 'ضراوة الحياة اللامتوقعة' بتكرار بلغ خمس عشرة مرة في جمل مترابطة ومتفاوتة، ناهيك عن اعادتها في مواضع مختلفة وبما لا يقل عن عشرة نصوص قصصية وشعرية.

إن هذا الإسلوب السردي عادة ما يدع القارئ يسرح في أفق التأمل لحل العقدة التي تتراءى له وكأنها جملة خيوط متشابكة، لا يجد نتائجها إلا في القفلة التي تسوقه لإحتمالات متفاوتة منها التأمل، التساؤل، أو إيجاد تفسير لفكرة جديدة، لا يزيح سر كثافتها وغموضها ومرماها إلا الذي خاض ذات التجربة وتعمق في إكتناه المجهول. هذا ما لاحظناه واستنتجناه في العديد من طروحاته وبشكل خاص في اسلوبه الحداثوي في مجال الشعر والقصة القصيرة جدا، وكما يتبين ذلك في "لحم العنزة"، "القرش الصغير"، "الرئيس والحذاء" و "تفجير" رغم خلوها من عناصر السرد المفصل والوصف المتكرر والعنونة المباشرة.

ليس لي في خاتمة تطوافي بين أروقة الجدران المشيدة بألوان من رخام الكلمات والعبارات التي تدعك تتأملها بعمق وروية، سوى القول: لا يتحسس بألم المتألم إلا الذي زامل الألم. متمنياً لزميل القلم ورافع راية الحرف مزيداً من الإبداعات الفكرية طالما يعيش بعيداً من عيون الأوابد النافرة من الإنس، ومتحرراً من شرار نيرانها التي جعلته يتذكر وجودها على عنونة كتابه بـ 'ضراوة الحياة اللامتوقعة' ويرمز الآبدة في سماء لوحة الغلاف بتربض وتربص مخيف، على أمل أن يشتد ولعه بأسارير الحياة المتوقعة، ويردم خلجات وهواجس ملابسات اللاتوقع، ليضفي ويسبغ نعمة الإنشراح والرفاه في النفوس. مع أجمل تحياتي وتوقعاتي.